

أن المقياس الاساسي لتقييم هذه البنية هو في قدرتها على الاحاطة الشاملة بالعلاقات التي تعبر عنها . لكننا هنا أمام موقف اسقاطي لا يتزحزح . الشخصيات لا تتطور والواقع الموضوعي حين يتحول ، فانه يبقى ضمن مسار معروف سلفا . هذا الموقف الواحد حاولته الرواية العربية بطريقة افضل . اذا أتت البنية الشعرية لتتزوج ولو بشكل جزئي مع البنية الروائية . لكننا هنا نفتقد الشعر . نحن أمام منحدر نثري . يشبه النثر الصحفي . لا توجد لحظة شعرية واحدة . هكذا أضاع ابو شاور شخصية غالي ولم يستطع حوراني تطوير اطارات طفولة خالد . فمبقينا أمام صورة مشوهة لرواية الموقف العربية .

٢ - **الواقع المحطم** : حين يريد العمل الروائي ان يتحول الى شهادة على مرحلة كاملة ، فان عليه على الاقل التخلي عن المسبقات الجاهدة . نحن هنا لسنا سوى أمام سلبيات المقاومة . حتى الفرح الجماهيري والموت الجماعي نفتقده في هذين العملين . الموقف السياسي وحده هو المهيمن . حتى في هذا الموقف ، فان النقد الشامل دون الوصول الى قدرة على التقييم الموضوعي ، يصبح مجرد تفتيت للواقع . تكسير المرأة لا يؤدي الى تكسير العالم . فالرؤية حين تجرد أمام موقف مسبق وبطريقة يائسة بشكل مطلق او نسبي ، تضعب على نفسها فرصة الانتعاش وتحول الى شهادة شخصية سيكولوجية .

لا تريد هذه الملاحظات الإيحاء تلميحاً او تصريحاً باعتراض على ضرورة النقد السياسي . لكنها تريد التأكيد على ان الشكل الادبي لا يحتل حالة سيكولوجية فردية . فالرواية الواقعية عالم متكامل وليست مجرد لحظات انفعالية يسقطها الكاتب وهو يتناسى التضحيات الجماهيرية التي تبقى أساس كل امتداد فني نحو الممارسة الثورية .

الثاني هو محاولة بناء خيوط تجمع خط الرواية بأسرها كفضية الزواج التي يطرحها الطبيب مع زياد ثم تنتهي الرواية بزواج زياد ونجر .

غير ان الثوابت الفنية تبقى غير متدارة على ضم العمل اليها . وهذا يعود الى عدم قدرة المؤلف على تحريك شخصياته بشكل متنوع . فنعود ثانية الى صدى صوت المؤلف على لسان ابطاله . ويغيب الثابت الفني لمصلحة ثابت سياسي مسبق . هنا نصل الى المناقشة الاساسية . فما معنى وجود الابطال طالما كانت تجربتهم متشابهة الى حد التطابق . اما رحلة غالي فانها لا تضيف سوى المزيد من التفاصيل على هذا التطابق . هكذا يصل المؤلف الى الثابت السياسي الوحيد ، ويبدأ باطلاق احكامه بشكل شبه مجاني . يريد الوصول الى الواقع فيضيق في الايديولوجيا . يفتت الواقع ويحرق أوصاله ، لينتهي بمصالحة ذاتية على الطريقة الرومانسية التقليدية . وتتهادى جميع الت نظريات السياسية أمام مفاجئتها وعدم قدرتها على الانتعاش . فالاسقاط السياسي حين يصبح مجرداً عن علاقات اجتماعية متكاملة ، داخل البنية الروائية ، يصبح بلا مبرر حقيقي ، وتسقط جميع محاولات الانتعاش .

حول الرواية « الفلسطينية » :

تسمح هذه المعالجة النقدية الاولية ، بطرح العديد من الاسئلة على حُسن تطور الرواية « الفلسطينية » . فبينما وصلت هذه الرواية مع حبيبي وكفاني الى قدرة على استنطاق الواقع والتغلغل في أعماقه من منظور العملية الثورية نفسها ، نجد أنفسنا نجاة أمام منحدر روائي يعود الى الوراء . وكأن على التجربة الادبية ان تنطلق دائماً من العدم . فالروايتان اللتان تعالج تسقطان في مسألتين أساسيتين :

١ - **الموقف الواحد** : يعبر هذا الموقف الواحد عن نفسه داخل بنية روائية واقعية مبدئياً . أي